١
المسلم مع ربه

مُؤمنٌ يَقِظٌ:

إن أول ما يتطلبه الإسلام من المسلم أن يكون مؤمناً بالله حق الإيمان، وثيق الصلة به، دائم الذكر له والتوكل عليه، يستمد منه العون مع أخذه بالأسباب، ويحسّ في أعماقه أنه بحاجة دوماً إلى قوة الله وعونه وتأييده، مهما بذل من جهد، ومهما اتخذ من أسباب.

والمسلم الحق الصادق يقظ القلب، مفتَّح البصيرة، متنبِّه إلى بديع صنع الله في الكون، موقن أن يده الخفيّة العليا هي التي تسيِّر أمر الكون وشؤون الناس، ومن هنا هو ذاكر دوماً لله، يرى آثار قدرته غير المحدودة في كل ومضة من ومضات الحياة، وفي كل مشهد من مشاهد الكون، فيزداد إيماناً به، وذكراً له، وتوكلاً عليه:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ . . . ﴾[١].

مُطيعٌ أمرَ ربّه:

فلا بدع أن يكون المسلم الصادق مطيعاً لله في أمره كله، مخبتاً،

---

(١) آل عمران: ١٩٠.

خاشعاً، وقّافاً عند حدوده، ممتثلاً أمره ولو خالف هواه، منصاعاً لهَدْيه ولو جاء على غير مزاجه، ومحكّ إيمان المسلم هذا الانصياع والامتثال لأمر الله ورسوله في كل كبيرة وصغيرة من غير تحفّظ ولا احتراس ولا استثناء:

«لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حتى يكونَ هَواهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ به»(١).

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

إنه الاسْتِسْلام المطلق لحكم الله ورسوله، والطاعة الكاملة المطلقة أيضاً، وبدونهما لا يكون إيمان، ولا يتحقق إسلام. ومن هنا ينتفي من حياة المسلم الصادق الانحرافُ عن هَدْي الله، والمجانبةُ لأمر رسوله، سَواءٌ أكانَ ذلك في شخص المسلم أم في أسرته وأطرافه، ممن له عليهم التوجيهُ والمسؤوليةُ والسلطانُ.

يَشْعُرُ بِمَسْؤولِيَّتِهِ عَنْ رَعِيَّتِهِ:

ذلك أنه ما من تقصير أو تهاون أو تفريط في جنب الله ورسوله، يقع فيه أحد أفراد أسرة هذا المسلم إلّا وهو مسؤول عنه:

«كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»(٣).

وهذه المسؤولية التي يحسّها المسلم الصادق من جراء تفريط أحد أفراد أسرته تَخِزُ جنبه، فلا يطيق عليها صبراً، ويسارع في إزالة أسبابها مهما تكن النتائج، فما يصبر على هذه المسؤولية، وما يطيق السكوت عليها إلّا رجل في إيمانه ضعف، وفي دينه رقّة، وفي رجولته خوَر.

---

(١) رواه النووي في الأربعين.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) متفق عليه.

راضٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ:

والمسلم الصادق راض دوماً بقضاء الله وقدره، يضع نصب عينه حديث رسول الله ﷺ:

«عَجَباً لأَمْرِ المُسْلِمِ! إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكانَ خَيْراً لَهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيْراً لَهُ»[١].

ذلك أن المسلم الصادق يعتقد في أعماقه أن الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان، وأن ما يصيبه في هذه الحياة ما كان ليخطئه، لأنه قَدَرٌ مقدور، لا قِبَلَ له بدفعه، وأن رضاه بقضاء الله وقدره يكسبه الثواب الجزيل من الله، ويكتبه عنده من المؤمنين الطائعين الفائزين.

ومن هنا كان أمره كله خيراً، إن أصابته سَرّاءُ لَهِج لسانه بالشكر الجزيل لربه الكريم المنعم المتفضل، وإن أصابته ضَرّاءُ صبر امتثالاً لأمره، ورضي بقضائه وقدره، وفي كلا الحالين خيرٌ له، أيّ خير.

أَوّاب:

وقد تغشى نفسَ المؤمن أثارةٌ من غفلة، فتزلُّ به القدم، أو يقع في تقصير، لا يليق بالمؤمن البصير المطيع الخابت الخاشع، ولكنه سرعان ما يتذكر ويتنبه وينتفض من غفلته، وينخلع من زلّته، ويستغفر من تقصيره، ويؤوب إلى حمى ربه الآمن مخبتاً نادماً مستغفراً:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[٢].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الأعراف: ٢٠١.

فالغفلة لا تَرين على قلب خفق بحب الله وتقواه، ولكنها ترين على القلوب التي أعرضت عن أمره وهداه. وقلب المسلم الصادق متفتّح دوماً إلى الاستغفار والتوبة والإنابة، مستروحٌ أبداً نسَماتِ الطاعة والهداية والتقى والرضوان.

هَمُّه مَرْضَاةُ رَبّـه:

والمسلم الصادق يبتغي في أعماله كلها وجه الله، هَمُّه مَرْضاةُ ربّه في كل خطوة من خطواته، وفي كل عمل من أعماله، لا مَرْضاةُ الناس، بل قد يضطر أحياناً إلى إغضاب الناس في سبيل مرضاة الله، مستهدياً في ذلك كله بقول الرسول الكريم:

«مَنِ الْتَمَسَ رِضاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النّاسِ كفَاهُ اللَّهُ مَؤُونَةَ النّاسِ، ومَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إلى النّاسِ»[١].

ومن هنا هو يَزِن أعماله بميزان مرضاة الله عزّ وجلّ، فما رجحت به كفّة هذا الميزان قَبِلَهُ وارتضاه، وما شالت به الكفّة أعرض عنه وجفاه. وبذلك تستقيم مقاييس المسلم، وتتّضح أمام عينيه معالم الطريق القصد والسبيل القويم، فلا يقع في متناقضات مضحكة سخيفة، كأن تراه يطيع الله في أمر ويعصيه في آخر، أو يُحِلُّ الشيء عاماً ويحرّمه عاماً؛ إذ لا مجال للتناقض ما دامت المنطلقات صحيحة، والمنهج بيّناً، والمقاييس ثابتة.

إن الذين تراهم في المسجد مصلّين خاشعين، ثم تراهم في السوق يتعاملون بالربا، أو تراهم في البيت أو الشارع أو المدرسة أو المنتدى لا يقيمون شرع الله على أنفسهم وزوجاتهم وأولادهم ومَنْ يعولون، يعانون نقصاً واضطراباً في فهمهم وتصوّرهم لحقيقة هذا الدين المتكامل الذي

---

(١) رواه الترمذي والقضاعي وابن عساكر، وسنده حسن.

يقود المسلم في أعماله كلها إلى حقيقة كبرى، وهي مرضاة الله عزّ وجلّ، فيجعله يَزِن كل قضية بميزان رضاه، ومن هنا يبدو هؤلاء أنصاف مسلمين، وقد لا يكون لهم من الإسلام سوى الاسم، وهذا الازدواج في الشخصية من أخطر ما ابتُلِيَ به المسلمون في هذا العصر.

مُؤَدٍّ الفَرَائِضَ والأَرْكَانَ وَالنَّوَافِلَ:

والمسلم الصادق يؤدي فرائض الإسلام وأركانه أداءً كاملاً حسناً، لا تهاون فيه ولا تساهل ولا ترخّص.

يُقِيمُ الصَّلَواتِ الْخَمْسَ:

فهو يقيم الصلوات الخمس بأوقاتها؛ إذ الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين[1]، وهي أجلّ الأعمال وأفضلها كما في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الأَعْمالِ أفضلُ؟ قال: «الصَّلاةُ على وَقْتِها»، قلتُ: ثم أيّ؟ قالَ: «بِرُّ الوالِدَيْنِ»، قلتُ: ثُمّ أيّ؟ قالَ: «الجهادُ في سَبيلِ اللَّهِ»[2].

ذلك أن الصلاة صلة بين العبد وربه، ينقطع فيها الإنسان عن شواغل الحياة، ويتجه بكيانه كله إلى ربه، يستمد منه الهداية والعون والتسديد، ويسأله الثبات على الصراط المستقيم.

فلا غرو أن تكون الصَلاة أجلَّ الأعمال وأفضلها؛ لأنها المورد الثرّ الذي يتزود منه المسلم تقواه، ولأنها المنهل العذب النقي الذي يغسل بنميره خطاياه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً ببابِ أَحَدِكمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقى

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ١/١٤٧.

(٢) متفق عليه.

مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»[١]، قالوا: لا يَبْقى مِنْ دَرَنِه، قالَ: «فذلكَ مثلُ الصّلواتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللّهُ بِهِنَّ الخَطايا»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ غَمْرٍ جارٍ على بابِ أَحَدِكمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يومٍ خمسَ مَرّاتٍ»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فأَتَى النبيَّ ﷺ، فأخبرَهُ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٤]، فقال الرَّجُلُ: أَلِيَ هذا؟ قال: «لِجَميعِ أُمَّتي كُلِّهِمْ»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، كَفّارَةٌ لِما بَيْنَهنَّ ما لَمْ تُغْشَ الكَبائِرُ»[٦].

وعن عُثْمانَ بن عَفّان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما مِنِ امْرِئٍ مُسْلم تحضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضوءَها، وخُشوعَها، ورُكُوعَها، إلاّ كانَتْ كَفّارةً لِمَا قبلَها مِنَ الذُّنوبِ، ما لمْ تُؤْتَ كبيرةٌ، وذلك الدَّهْرَ كُلَّهُ»[٧].

والأحاديث والآثار والأخبار في بيان فضل الصلاة وأهميتها وخيرها على المصلّين كثيرة متنوعة، لا تتسع لها هذه الصفحات.

---

(١) أي وسخه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) هود: ١١٤.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه مسلم.

يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ فِي الْمَسْجِدِ:

ويحرص المسلم التقي على الجماعة الأولى في المسجد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ ذلك أن رسول الله ﷺ أخبر أن «صلاة الجَماعَةِ أفضلُ من صَلاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وعِشْرينَ دَرَجَة»(١).

وأخبر الرسول ﷺ أن المسلم «إذا تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إلاّ الصّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلاّ رُفِعَتْ لهُ بها دَرَجَةٌ، وحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ(٢)، فإذا صلَّى لم تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلّي عَلَيْهِ ما دامَ في مُصَلاّهُ ما لَمْ يُحْدِثْ: اللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللّهُمَّ ارْحَمْهُ، ولا يَزالُ في صَلاةٍ ما انتظرَ الصَّلاةَ»(٣). وبشّر الرسول الكريم المصلّي الحريص على الجماعة بالجنة في كل غدوة من غدواته إلى المسجد أو روحة إليه، فقال: «مَنْ غَدا إلى المَسْجِدِ أو راحَ أعدَّ اللّهُ لهُ في الجنَّةِ نُزُلاً، كُلّما غَدا أو راحَ»(٤).

ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص ما يكونون على صلاة الجماعة، وفي ذلك يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

مَنْ سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللّهَ تعالَى غَداً مُسْلِماً فَلْيُحافِظْ على هؤلاءِ الصَّلواتِ حَيْثُ يُنادَى بِهِنَّ، فإنَّ اللّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وإنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَوْ أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيوتِكُمْ كما يُصَلّي هذا المُتَخلِّفُ في بَيْتِهِ لَترَكْتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكُمْ، ولوْ تركتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، ولقَد رأَيْتُنا وما يَتَخَلَّفُ

---

(١) متفق عليه.

(٢) لهذا كان عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) يقارب بين خطوه، وهو في طريقه إلى المسجد، لتزداد خطواته فتزداد بها حسناته.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

عَنْها إلاّ مُنافِقٌ مَعْلُومُ النِّفاقِ، ولقدْ كانَ الرّجلُ يُؤْتَى بِهِ يُهادَى[١] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتّى يُقامَ في الصَّفِّ»[٢].

ويبلغ اهتمام الرسول ﷺ بأمر الجماعة في المسجد أن يهمّ بتحريق بيوت تاركي الجماعة من غير عذر، إذ يقول:

«والّذي نَفْسي بِيَدِهِ لقدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْتَطَبَ، ثُمّ آمُرَ بالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَها، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النّاسَ، ثمّ أُخالِفَ إلى رجالٍ فأُحَرِّقَ عليهمْ بُيوتَهُمْ»[٣].

فلا عجب بعد ذلك أن نجد مثل سعيد بن المسيب لا يَرى خلال ثلاثين سنة قفا أحد في المسجد لأنه كان دائماً في الصف الأول قبل الأذان، وأمثال سعيد كثير في تاريخ المسلمين.

ولم يكن بُعْدُ الدار عن المسجد ليعيق الصحابة الكرام عن حضور الجماعة كلما سمعوا النداء، لما كان للجماعة من أهمية بالغة في نفوسهم، بل إنهم كانوا يُسَرّون ببعد بيوتهم عن المسجد ليُكْتَبَ لهم مَمْشاهم إلى المسجد، وتُحْسَبَ لهم خطواتهم إليه في صحيفة أعمالهم:

فعن أُبـيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحداً أبعدَ من المسجد منه، وكانَتْ لا تخطِئه صلاة! فقيل له: لو اشتريتَ حماراً لتركبَه في الظَّلْماء وفي الرَّمْضاء[٤]، قال: ما يَسرُّني أنَّ منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يُكْتَبَ لي مَمْشايَ إلى المسجد ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسولُ الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذلكَ كُلَّهُ»[٥].

---

(١) أي يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) أي شدة الحر.

(٥) رواه مسلم.

ولقد كان من هَدْي الرسول الكريم للصحابة الذين بعدت بيوتهم عن المساجد ألا يتحولوا إلى بيوت قريبة منها، وأكّد لهم أن آثارهم في السعي إليها ستكتب في صحيفة أعمالهم، وأن خطواتهم الكثيرة إليها لن تضيع:

فعن جابر رضي الله عنه قال: «خَلَتِ البِقَاعُ حولَ المَسْجِدِ، فأرادَ بَنو سَلِمَةَ أنْ يَنْتَقِلوا قُرْبَ المَسْجد، فَبَلَغَ ذلكَ النبـيَّ ﷺ فقالَ لهمْ: «بَلَغني أنَّكُمْ تُريدونَ أنْ تَنْتَقِلوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟» قالوا: نَعَمْ يا رسولَ الله، قَدْ أرَدْنا ذلكَ، فقال: «بَني سَلِمَةَ دِيارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ»، فقالوا: ما يَسُرُّنا أنّا كُنّا تَحَوَّلْنا»(١).

وعن أبـي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أَعْظَمَ النّاس أَجْراً في الصّلاة أَبْعَدُهُمْ إليها مَمْشىً فأبْعَدُهُمْ، والّذي يَنْتَظِرُ الصّلاةَ حتى يُصَلّيَها معَ الإمام أعظمُ أجراً مِنَ الذي يُصلّيها ثم يَنام»(٢).

وجاء الحثّ على حضور الجماعة في الصبح والعشاء في عدد من النصوص، بيّن فيها الرسول الكريم الثوابَ الجزل العميم لمن شهد الجماعة في هاتين الصلاتين، أجتزىء منها بنصّين:

الأول: عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى العشاءَ في جَماعَة فكأنَّما قامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، ومَنْ صَلّى الصُّبْحَ في جَماعَة فكأنّما صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»(٣).

والثاني: عن أبـي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ سولُ الله ﷺ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المُنافِقينَ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ والعِشاءِ، ولَوْ يَعْلَمونَ ما فيهما لأتَوْهُما ولَوْ حَبْواً»(٤).

---

(١) رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

يُصَلِّي السُّنَنَ الرَّوَاتِبَ وَالنَّوَافِلَ:

ولا يفوت المسلم التقي الحريص على فوزه في آخرته أن يصلي السنن الرواتب أيضاً، ويأتي من النوافل ما يتسع له نشاطه وتنشط إليه نفسه آناء اللّيل وأطراف النهار؛ ذلك أن الإكثار من النوافل يدني العبد من ربّه، ويرفعه إلى مقام حبه له ورضاه عنه، وإنه لَمقامٌ عليّ كريم، إذا بلغه الإنسان أحبه الله، وخصّه بقوته الكبرى، فكان سمعَه الذي يسمع به، وبصَرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها. . . يشهد لذلك الحديث القدسي:

«ما زالَ عَبْدي يَتَقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِها، ورجلَه الّتي يَمشي بها، ولَئِنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنْ استعاذني لأُعيذَنَّهُ»[١].

ويترتب على محبّة الله للعبد أن يحبَّهُ أهلُ السماء والأرض، مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ اللّهَ إذا أحبَّ عَبْداً دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إني أُحِبُّ فُلاناً فأَحِبَّهُ، قالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثمّ يُنادي في السَّماء فيقولُ: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأَحِبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماء، قال: ثمّ يُوضَعُ لَهُ القَبولُ في الأرْض. وإذا أَبْغَضَ عَبْداً دَعا جِبريلَ فيقولُ: إنّي أُبْغِضُ فُلاناً فأَبْغِضْهُ، قال: فيُبْغِضُهُ جِبْريلُ، ثمّ يُنادي في أَهْلِ السَّماءِ إنّ الله يُبغِضُ فُلاناً فأَبْغِضوهُ، قال: فيُبْغِضونَهُ، ثمّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضاءُ في الأَرْضِ»[٢].

ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل حتى تتفطّر قدماه، فتسأله أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله، وقد غَفَرَ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

اللّهُ لَكَ ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فيجيبُها: «أَفَلا أَكونُ عَبْداً شَكوراً؟»[١].

يُحْسِنُ أَدَاءَ الصَّلَاةِ:

ويحرص المسلم الحق في صلواته كلها على أن تكون حسنة الأداء، مستكملة الشروط، لا مجرد قيام وقعود وحركات، والذهن شارد، والنفس مبلبلة، والقلب خَواء.

وهو لا ينفتل من صلاته تَوّاً لينغمر في شواغل الحياة وتيارها الجارف، بل يكون له بعد الصلاة استغفار وأذكار وتسبيحات نصّت عليها السنّة المطهّرة، يتوجّه بعدها إلى الله العليّ الكبير بدعاء خاشع من أعماق القلب أن يهبه خيري الدنيا والآخرة، وأن يجعل له من أمره رشداً، وبذلك تؤدّي الصلاةُ دورها في تصفية الروح، وترقيق القلب، وتزكية النفس، ولهذا كله كان الرسول صلوات الله عليه يقول: «وجُعِلَتْ قُرّةُ عَيني في الصَّلاةِ»[٢].

ومن هنا كان المصلّون الصادقون الخاشعون في حمى الله الآمن، وفي رعايته الشاملة، لا يجزعون إذا مسّهم شرّ، ولا يمنعون إذا غمرهم خير:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ... ﴾[٣].

يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ:

وهو يؤتي الزكاة، إن كان ذا سعة توجب عليه الزكاة، فيحصي ما يتوجب عليه دفعُه من هذه الفريضة بكل دقة وأمانة وتقوى، وينفقه في مصارفه المشروعة، ولو بلغ مقدار الزكاة المتوجبة عليه آلافاً كثيرة، أو ملايين، ولا يدور في خَلَدِه أن يتهرّب من بعض ما يتوجّب عليه دفعُه.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه أحمد والنسائي بإسناد حسن.

(٣) المعارج: ١٩.

ذلك أن الزكاة فريضة ماليّة تعبّدية محدّدة، لا يسع المسلم الصادق أن يتهاون في إخراجها كاملة كما بيَّنتها الشريعة. وما يتلكّأ في إخراجها مسلم إلاّ وفي تديّنه غَبَش، وفي نفسه كزازة، وفي خلقه التواء. وحسبنا أن نعلم أن حابِسَها يُقاتَل ويُهدَر دمُه، حتى يؤدّيها كاملة كما بيّنتها أحكام الدين، وما تزال قولة أبـي بكر الصديق رضي الله عنه في أهل الرّدّة تتردّد في سمع الزمان معلنة عظمةَ هذا الدين في ربطه بين الدين والدنيا: «واللّـهِ لأُقاتِلَنَّ مَنْ فرَّقَ بينَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ»[1]. وإنه لَقَسَمٌ من أبـي بكر يوحي بعمق فهمه لطبيعة هذا الدين الكامل المتكامل، وللعلاقة الوثقى بين الصلاة والزكاة في إقامة صرحه، إذ رأى آيات القرآن الكريم تَتْرَى متضافرة متآزرة متعاقبة تقرن بين الصلاة والزكاة على هذا النحو المتلازم:

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2].

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3].

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[4].

يَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ وَيَقُومُ لَيْلَهُ:

والمسلم الحق يصوم رمضان إيماناً واحتساباً، والإيمان يعمر قلبه: «أنّ مَنْ صامَ رمضانَ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[5]، ويعرف حق الصوم عليه في حفظ لسانه وبصره وجوارحه عن كل مخالفة، تخدش صومه، أو تحبط من أجره:

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣١٥.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) البقرة: ٤٣.

(٤) البقرة: ٢٧٧.

(٥) متفق عليه.

«إذا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أحَدٌ أو قاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إنّي صائِمٌ»[١].

«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ فَليسَ للَّهِ حاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعامَهُ وشَرابَهُ»[٢].

ولا يغيب عن بال المسلم الصائم أنه يعيش شهراً لا كالشهور؛ إنه شهر الصوم، والصوم لله، وهو الذي يجزي به، وجزاء الله الغنيّ المتفضل المنعم أكبر وأوفى وأعم وأشمل من أن يتصوره خيال:

«كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ يُضاعَفُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِمئةِ ضِعْفٍ. قال الله تعالى: إلاّ الصَّوْمَ فإنَّهُ لي وأنا أجْزي به، يَدَعُ شَهْوتَهُ وطعامَهُ مِنْ أجْلي، للصَّائِم فَرْحَتانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطرِه، وفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقاءِ رَبِّهِ. ولَخُلُوفُ فِيهِ أطْيَبُ عندَ اللَّهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ»[٣].

ومن هنا وجب على المسلم اليقظ الحصيف أن يغتنم أويقات هذا الشهر المبارك، فيملأها بالعمل الصالح؛ فنهاره صوم وصلاة وتلاوة وصدقة وغير ذلك من الصالحات، وليله قيام وتهجّد ودعاء:

«مَنْ قامَ رَمَضانَ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤].

ولقد كان رسولُ الله ﷺ يَجتَهِدُ في رمضان بالإكثار من الأعمال الصالحة ما لا يجتهد في غيره، وبخاصة في العشر الأواخر منه:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في رَمضانَ ما لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ، وفي العَشْرِ الأَواخِرِ مِنهُ ما لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ»[٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

وعنها رضي الله عنها قالت: «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا دَخَلَ العَشْرُ الأَواخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيا اللَّيْلَ كُلَّهُ، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وجَدَّ، وشَدَّ المِئْزَرَ»(١).

وكان يأمر بتحرّي ليلة القدر، ويرغّب في قيامها بقوله:

«تَحَرَّوْا ليلةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رَمضانَ»(٢).

وقوله:

«تَحَرَّوْا ليلةَ القَدْرِ في الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رَمضانَ»(٣).

وقوله:

«مَنْ قامَ ليلةَ القَدْرِ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٤).

ومن هنا كان هذا الشهر الكريم شهرَ عبادة خالصة، لا مجال فيه للمسلم الجادّ أن يقضي اللّيل في اللهو والسهر الفارغ الطويل، حتى إذا ما قارب طلوع الفجر، وغشيه النعاس، تناول لقيمات، وآوى إلى فراشه، وراح يغط في نوم عميق، وقد لا يصحو لأداء صلاة الفجر!.

إن المسلم التقي الواعي تعاليمَ دينه يعود من صلاة التراويح، فلا يطيل السهر؛ لأنه سيستيقظ بعد سويعات قليلة لقيام اللّيل وتناول طعام السحور، ثم الذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الفجر.

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالسحور، لما فيه من خير كثير، فقال: «تَسَحَّروا، فإنَّ في السُّحورِ بَرَكَةً»(٥).

ذلك أن الاستيقاظ للسّحور يذكّر بقيام اللّيل، وينشّط النفوس للانطلاق إلى المساجد لأداء صلاة الفجر في جماعة، هذا إلى ما فيه من تقوية الأجسام

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

على الصوم، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ، ويروّض عليه أصحابه:

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ثم قُمْنا إلى الصَّلاةِ. قيل: كَمْ كانَ بَيْنَهُما؟ قال: خَمْسونَ آيَةً»[١].

يَصُومُ النَّافِلَةَ:

والمسلم التقي اليقظ لا يفوته صوم النافلة في غير رمضان، كصوم يوم عَرَفة، ويوم عاشوراء، ويوم تاسوعاء؛ فصيام هذه الأيام من أفضل الأعمال التي تكفّر الذنوب كما أخبر بذلك الرسول الكريم ﷺ:

فعن أبـي قتادة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ والباقِيَةَ»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صامَ يومَ عاشوراء، وأمر بصيامه[٣].

وعن أبـي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ»[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابِلٍ[٥] لأَصُومَنَّ التاسِعَ»[٦].

وكذلك صومُ ستّةِ أيامٍ من شوّال، وفي بيان فضل صومها يقول الرسول الكريمُ ﷺ:

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) أي عام قابل.

(٦) رواه مسلم.

«مَنْ صامَ رَمضانَ، ثُمّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوّالٍ كانَ كصيامِ الدَّهْرِ»(١).

ومن الأيام المستَحَبّ صِيامُها ثلاثةُ أيام من كل شهر، وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه:

«أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صِيامِ ثلاثةِ أيّامٍ من كلِّ شَهْرٍ، ورَكْعَتَيِ الضُّحَى، وأن أُوتِرَ قبلَ أنْ أنامَ»(٢).

وعن أبـي الدرداء رضي الله عنه قال: «أوصاني حبيبـي ﷺ بثلاث لن أدعهنّ ما عشتُ: بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ مِنْ كلِّ شَهْرٍ، وصَلاةِ الضُّحَى، وبأن لا أنامَ حتّى أُوتِرَ»(٣).

وعـن عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص رضـي الله عنـه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «صَوْمُ ثَلاثةِ أيّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»(٤).

ووردت نصوص تحدّد هذه الأيام الثلاثة بالثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وتسميها الأيام البيض، ووردت نصوص أخرى تفيد أن الرسول الكريم كان يصوم ثلاثة أيام غير محدّدة من كل شهر:

فعـن مُعـاذة العـدويـة أنهـا سـألـت عـائشـةَ رضـي الله عنهـا أكـان رسولُ الله ﷺ يَصومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيّام؟ قالتْ: نعَمْ، فقلتُ: مِنْ أيِّ الشَّهْرِ كان يَصومُ؟ قالتْ: لم يكنْ يُبالي مِنْ أيِّ الشَّهْرِ يَصومُ(٥).

يَحُجُّ بَيْتَ اللّـهِ الْحَرَامَ:

والمسلم الواعي هَدْيَ دينه يضع نصب عينيه أن يحج بيت الله متى

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقبل سفره إلى الديار المقدسة يعكف على دراسة أحكام الحج دراسة مستفيضة، فيقف على كل صغيرة وكبيرة منها، فإذا ما أقبل يؤدي مناسك الحج كان حجُّهُ صحيحاً تاماً، وكان واعياً فاهماً الحِكَمَ البليغةَ التي انطوت عليها هذه الفريضة العظيمة، وشعر بطمأنينة الإيمان تتغلغل في مسارب نفسه، وأحسّ بشاشةَ الإسلام تغمر كيانه، فينقلب بعد هذا الحج المبرور إلى أهله وبلده، وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأُفعِمَتْ نفسه إيماناً بعظمة هذا الدين الذي جمع أمم الأرض قاطبة حول البيت المعمور، فإذا الحجُّ مؤتمر شعبي دولي أممي، لا تشهده الدنيا إلاّ في الحج، وإذا الحجيج على اختلاف ألوانه وأجناسه ولغاته يصدع بالتلبية والتهليل والتكبير والتسبيح والحمد للإله الواحد العليّ الكبير.

يَعْتَمِرُ:

ولا ينسى المسلم المطيع أمر ربه أن يعتمر أيضاً في غير أوقات الحج، إن تيسرت له الأسباب، ولا سيما في رمضان؛ ذلك أن العمرة في رمضان تعدل في ثوابها حَجَّةً مع رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لما رجعَ النبيُّ ﷺ من حَجّته قال لأمّ سنان الأنصارية: «ما منعكِ من الحج؟» قالت: أبو فلان ـ تعني زوجَها ـ كان له ناضحان[١]، حَجَّ على أحدهما، والآخر يسقي أرضاً لنا. قال: «فإنَّ عُمرةً في رمضانَ تَقْضي حَجَّةً معي»».

مُتَمَثِّلٌ مَعْنَى العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ:

والمسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أنه ما وجد في هذه الحياة إلاّ لعبادة ربه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢].

---

(١) أي: جملان.

(٢) الذاريات: ٥٦.

وعبادة الله تتمثّل في كل حركة من حركات الإنسان الإيجابية البنّاءة لإعمار الكون، وتحقيق كلمة الله في الأرض، وتطبيق منهجه في الحياة، كما تتمثّل في شعور العبودية لله الواحد القهّار، يستقر في ضمير المسلم، ويكون منطلقه في أعماله كلها، بحيث يبتغي بها وجه الله، وبذلك تكون أعمال المسلم عبادة كأداء الشعائر، ما دامت نيته في حركته كلها أنه يعمل في سبيل الله.

إن أجل الأعمال التعبدية التي يقوم بها المسلم الحق هو العمل على تحكيم شرع الله في الأرض، وتطبيق منهجه في الحياة، بحيث يحكم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

وإن المسلم الصادق ليشعر أن عبادته تبقى ناقصة، إذا هو لم يبذل جهده لتحقيق الهدف الكبير الذي خلق الله الجن والإنس من أجله، ألا وهو إعلاء كلمة الله في الأرض، الذي به وحده تتحقق عبادة البشر لله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، وبه وحده يتحقق معنى «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» في واقع الحياة.

ومن هذه الرؤية الراشدة والتصوّر الواعي لحقيقة العبادة في الإسلام، لا يستطيع المسلم إلاّ أن يكون صاحب رسالة في هذه الحياة، هي أن يكون الحكم لله وحده في شتى شؤون الحياة، لا يكمل إسلامه إلاّ بحملها، ولا تتحقق عبادته لربه إلاّ بالعمل الجاد الدائب المخلص على تحقيقها في واقع الحياة، وهذه الرسالة هي التي تعطي للمسلم هُويّة الانتساب الصحيح للإسلام، وهي وحدها التي تدخله في زمرة المسلمين المجاهدين الصادقين، وهي التي تجعل الحياة في نظره ذات معنى، يليق بخلافة الإنسان في الأرض، إذ يفسر له علة وجوده في هذه الحياة، وتفضيل الله إياه على كثير مِمَّنْ خَلَقَ:

---

(١) الذاريات: ٥٦.

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١).

فلا بدع أن يقبل المسلم الصادق على هذه الرسالة إقبال الربيع، فيهبها كل خيره، ويمنحها كلّ كنوزه، ويضع في سبيل نصرتها كل وقته وجهده وماله؛ ذلك أنها سمة حياته المتميزة، ومعنى وجوده السامي، وعنوان قربه من الله، لا طعم لحياته إلّا بها، ولا معنى لوجوده بدونها، ولا اطمئنان إلى رضوان الله إلّا بالعمل المتواصل الدؤوب على تحقيقها.

وهي، بعدُ، أعظمُ عبادة يقوم بها المسلم المتبتّل الصادِق، يتقرّب بها إلى الله، وهي أجلُّ عملٍ يدنيه منه، ويكسبه رضاه. ومن هنا كان المسلم الواعي عاملاً دوماً على نصرة هذه الرسالة وتحقيق هدفها الكبير في الحياة، لا يمنح ولاءه إلّا لها، ولا يرفع راية إلّا رايتها، ولا يلتزم بعقيدة سواها.

كَثِيرُ التِّلَاوَةِ لِلْقُرْآنِ:

ومن أجل بلوغ هذا المرتقى السامي الوضيء يفيء المسلم دوماً إلى ظلال القرآن الوارفة المعطّرة، يستروح فيها نسماتِ الهداية النديّة البَرود، ويستشرف آفاق الخير، تفتحها له آيات الذكر الحكيم، فهو يكثر من تلاوته في تدبّر وتبصّر وخشوع، ويجعل لهذه التلاوة أوقاتاً لا تتخلّف، يخلو فيها إلى ربه يتلو كلامه، فتنسرب معانيه في نفسه فتزكّيها، وتلامس عقله فتنمّيه، وتخالط قلبه فتزيده إيماناً وطمأنينة: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٢).

وحسب المسلم التقي الواعي أن يتملى الصورة الجميلة المحبَّبة لقارىء القرآن التي رسمها الرسول الكريم ببيانه البليغ الفذّ، ليملأ بياض

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الرعد: ٢٨.

أيامه وسواد لياليه بتلاوة القرآن الكريم، والتغنّي بمعانيه العالية المباركة الوضاء. يقول الرسول الكريم ﷺ:

«مَثَلُ المُؤْمِنِ الّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ[(١)]، رِيحُهَا طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المُؤْمِنِ الّذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمثَلِ التَّمْرَةِ، لا ريحَ لَها، وطَعْمُها حُلْوٌ، ومَثَلُ المُنافِقِ الّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحانَةِ، ريحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المُنافِقِ الّذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليسَ لها ريحٌ وطَعْمُها مُرٌّ»[(٢)].

ويقول الرسول ﷺ: «اِقْرَأُوا القُرْآنَ، فإنَّهُ يَأْتي يومَ القِيامَةِ شَفيعاً لأَصْحابِهِ»[(٣)].

ويقول أيضاً: «الّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وهُوَ ماهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيهِ، وهُوَ عليهِ شاقٌّ، لهُ أَجْرانِ»[(٤)].

فهل يستطيع المسلم الصادق بعد هذا أن يتلكأ في تلاوة القرآن وتدبّر معانيه؟!.

وبعد، فهذا شأن المسلم الحق مع ربه: إيمان صادق عميق، وعمل صالح مستمر، وتطلّع دائم إلى رضوانه، يؤكد عبوديته له، ويحقق الهدف من وجوده في هذه الحياة الذي حدّده قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[(٥)].

* * *

---

(١) الأُتْرُجَّة: فاكهة ذات رائحة طيبة تشبه الكبّاد.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) الذاريات: ٥٦.